الذكاء المناسب.. للرجل والعمل المناسب

د. إبراهيم محمد المغازى
قسم علم النفس
جامعة بور سعيد
عضو المجلس العربى
للأخلاق والمواطنة

يعتبر الذكاء الإنسانى من المفاهيم النفسية التى شغلت فكر الفلاسفة والمفكرين ورجال الدين وعلماء النفس والاجتماع وغيرهم .. إلخ لأنه من المفاهيم الغامضة التى دار حولها الجدل والنقاش، وهل هو وراثى أم مكتسب من البيئة ... فالذكاء من الشروط المهمة والأساسية لعبادة الله تعالى ، فالقرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة حددا بداية سن البلوغ للطفل حتى يُحاسب على تصرفاته وأسلوب تعامله مع الآخرين فى المجتمع ، قال تعالى «وَإِذَا بَلَغَ الأَطْفَالُ مِنكُمُ الحُلُمَ فَلْيَسْتَأْذِنُوا كَمَا اسْتَأْذَنَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ» (النور: 59).

وفى قول رسولنا الكريم :«رُفِع القلم عن ثلاث : «الصبى حتى يبلغ ، والنائم حتى يستيقظ ، والمجنون حتى يفيق»، أى أن النضج العقلى «نسبة الذكاء لا تقل عن ١٠٠ «هو الشرط الأساسى والضرورى لأمر التكليف بالعبادة لله سبحانه وتعالى وإلا يرفع عنه القلم ، فنسبة الذكاء هى ١٠٠ فأى نقص للذكاء عن المتوسط بلغة الإحصاء «١٠٠» يرفع عنه أمر التكليف أو يندرج تحت بند «الضرورات تبيح المحظورات» .

حتى الآن فى عصرنا الحديث تصنف المهن أو البعض منها حسب نسبة الذكاء ،فبعض الوظائف مثل «المحافظ وما فوقه والقضاء والجامعة « أستاذ الجامعة» ، والسلك الدبلوماسى والعلماء والإعلام والصحافة والأدباء والكتاب والشرطة والحربية هذه الوظائف المرموقة فى المجتمع تتطلب نسبة ذكاء «I.O» عالية جداً لا تقل أيضاً عن ١٠٠ ولهذا عندما يوضع الرجل المناسب فى مكان غير مناسب تكون النتيجة الفشل...؟

وإذا وُضِع رجل أو مسئول ذو ذكاء معين فى وظيفة لا تتطلب هذا الذكاء فإننا لا نرى تحسناً أو تفاؤلاً فى المؤسسة التى يديرها هذا المسئول ..

لذا عند اختيار أى مسئول أو أى شخص لوظيفة جماهيرية يجب أن تكون هناك معايير دقيقة منها ارتفاع نسبة الذكاء مع نوع الذكاء المطلوب هل ذكاء وجدانى ، علمى ميكانيكى اجتماعى ، فضائى لغوى «رياضي» موسيقى، فنى ، منطقى، سياسي، أخلاقى .. الخ بالإضافة إلى سمات الشخصية، وهذا ما أكدته الدراسات النفسية والتراث النفسى «نظرية الذكاء المتعددة لهوارد جاردنر» فى نهاية القرن العشرين.

كما أن الذكاء هو الأساس فى التكيُّف والتوافق النفسى الاجتماعى للإنسان مع نفسه أولاً ، أى توافق نفسى مع نفسه ثم تكيُّف اجتماعى مع الآخرين فى المجتمع.

فارتفاع الذكاء يؤدى إلى ارتفاع اللغة ورقيها بناءً على اتساع القاموس اللغوى للإنسان فى مرحلة الطفولة، فأى تشكيل للذكاء اللغوى فى هذه المرحلة المهمة من مراحل النمو الإنسانى هو الأساس لنمو أى نوع آخر من الذكاءات المتعددة لأن كل ذكاء من الذكاءات المتعددة يحتاج إلى لغة تعبيرية ونسبة ذكاء عادية لا تقل عن ١٠٠ تكشف عن أنه يكون هناك ذكاء اجتماعى ، أو وجدانى أو موسيقى أو فنى بدون لغة تعبر عن هذا الذكاء وحتى يعرف الآخرون نوع هذا الذكاء.

ولهذا فإذا زادت نسبة الذكاء الانحرافية (١٣٠) كان الإنسان موهوباً عبقرياً ينجز ويبدع ويطوّر فى أى مؤسسة، وإذا انحصرت نسبة الذكاء الانحرافية بين ١٠٠- ١٣٠ كان الإنسان عادياً ، وقد يكون لديه إبداع فى شىء معيّن .

أما إذا انخفضت نسبة الذكاء الانحرافية عن ١٠٠، فالإنسان يقع ضمن هذه الفئات الآتية : ذو صعوبة فى التعلم ، أو بطىء التعلم ، أما إذا انخفضت هذه النسبة عن ٧٠ فإنه سوف يكون ضمن أشكال التخلف العقلى «المعتوه « الأبله أو المأفون» أو إنسان توحدى غير متكيّف مع الآخرين فى المجتمع ، وإذا تلاشى الذكاء فيصبح الإنسان مجنوناً.

ولهذا يجب أن تراعى هذه النسب عند اختيار الأفراد وخاصة فى المهن أو الوظائف الجماهيرية حتى يستطيع هذا المسئول أو ذاك أن يسعد الآخرين داخل أى مؤسسة وحتى ترقى وتنهض هذه المؤسسة؛ لأنه عندما يشعر الأفراد بالسعادة مع مديريهم تزداد الدافعية للإنجاز داخل هذه المؤسسة.

وهذا هو الفرق بين المؤسسة الناجحة والمؤسسة الفاشلة وهو سوء الاختيار لمدير المؤسسة أو أن المسئول غير سوى داخل أى جهاز من أجهزة المجتمع فيعدى الآخرين معه داخل المؤسسة عن طريق العدوى النفسية فيظهر الفساد بأشكاله المختلفة .

كما أن ارتفاع أو انخفاض نسبة الذكاء الانحرافية هى التى تجعل الآخرين «المرؤوسين» الأكثر ذكاء من مدير المؤسسة وهم «أصحاب المصالح أى شلة الفساد داخل المؤسسة يسلبون إرادة المسئول أو المدير ويكون المدير أو المسئول ضعيف الشخصية فينهبون ويفسدون داخل المؤسسة وتكون النتيجة هى فشل المؤسسة وإهدار المال العام أو حدوث مصائب يعانى منها أفراد المجتمع لسنوات طويلة.. فهل حان الوقت بعد كل الذى حدث بأن نضع الرجل المناسب فى المكان المناسب وفقاً لارتفاع نسبة الذكاء الانحرافية؟ فإسناد الأمر لغير أهله من علامات الساعة .

وصدق الله العظيم اذ يقول :) حَتَّى إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحاً تَرْضَاهُ وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِي) [الأحقاف:١٥].